التَّارِيخُ: 08.12.2023

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"اَلْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ..."

نَحْنُ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَفَاضِلُ!

إِن فِى أَحَدِ الأَيَامِ، كَانَ عَدَدٌ مِن الصَّحَابَةِ يَتَحَدَّثُونَ فِى المَسْجِدِ النَّبَوِيّ وَ لَقَدْ دَخَلُوا فِى سِبَاقِ العُنْصُرِيَّةِ وَالقَبَلِيَّةِ ضِدَّ بَعْضِهِمُ البَعْضَ بِفَهْمٍ مَوْرُوثٍ مِنَ الجَاهِلِيَّةِ. سَأَلَ أَحَدُهُمْ سَلْمَانَ الفَارِسِىَّ، وَهُوَ مِنْ أَصْلٍ إِيرَانِىٍّ وَكَانَ نَبِيُّنَا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُقَدِّرُهُ كَثِيرًا، "مِنْ أَيِّ قَبِيلَةٍ أَنْتَ، وَمَا هُوَ نَسَبُكَ؟". فَقَالَ سَلْمَانُ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ): "أَنَا سَلْمَانُ ابْنُ الْإِسْلَامِ". وَتَابَعَ: "لَقَدْ ضَلَلْتُ الطَّرِيقَ؛ فَهَدَانِى اللَّهُ بِنَبِيِّنَا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَ كُنْتُ فَقِيرًا فَأَغْنَانِى اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ المُصْطَفَى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَ كُنْتُ عَبْدًا فَأَعْتَقَنِى اللَّهُ بِرَسُولِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)". وَسَأَلَ عُمَرُ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِى كَانَ شَاهِدًا عَلَى هَذَا الحَدِيثِ الحَاضِرِينَ: "هَلْ تُرِيدُونَ مَعْرِفَةَ نَسَبِى أَيْضًا؟" فَقَالَ: "وَأَنَا عُمَرُ ابْنُ الإِسْلَامِ وَأَخُ سَلْمَانَ ابْنِ الإِسْلَامِ".

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعِزَّاءُ!

وَهَذِهِ الحَادِثَةُ المَلِيئَةُ بِالدُّرُوسِ الكَثِيرَةِ تُعَلِّمُنَا مَا يَلِى: أَنَّ التَّفَوُّقَ لَيْسَ فِى نَسَبٍ وَلَا فِى عِرْقٍ. التَّفَوُّقُ الحَقِيقِىُّ هُوَ أَنْ تَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ. الكَرَامَةُ الحَقِيقِيَّةُ هِىَ أَنْ تَجِدَ الشَّرَفَ فِى الإِسْلَامِ، وَالأُخُوَّةُ الحَقِيقِيَّةُ هِىَ العَمَلُ بِوَعْيِ الأُمَّةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَفَاضِلُ!

وَكَوْنُنَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) **"إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ"**[1] يَعْنِى اِعْتِنَاقُ العَقِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى التَّوْحِيدِ بِاتِّبَاعِ الآيَةِ. وَاعْتِنَاقُ أُخُوَّةِ الإِيمَانِ المَبْنِيَّةِ عَلَى الوَحْدَةِ ضِد الظَّالِمِينَ.

كَوْنُنَا أُمَّةَ نَبِيِّنَا يَعْنِى: **"كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ.. "**[2]، يَعْنِى الإِرْشَادُ وَالهِدَايَةُ إِلَى الحَقِّ وَالعَمَلِ عَلَى تَحْقِيقِ العَدْلِ وَالخَيْرِ لِجَمِيعِ النَّاسِ وَالقَضَاءِ عَلَى الظُّلْمِ وَالشَّرِّ.

أَنَّ نَكُونَ أُمَّةَ رَسُولِ اَللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْنِى أَنْ نَكُونَ قَلْبًا وَاحِدًا وَجَسَدًا وَاحِدًا. يَعْنِى عَدَمَ تَرْكِ أَخِينَا المُؤْمِنِ تَحْتَ رَحْمَةِ الْعَدُوِّ. وَعَدَمَ تَرْكِهِ وَحِيدًا وَعَاجِزًا. وَكَمَا قَالَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ..."**[3] وَأَنْ نَتَّخِذَ الحَدِيثَ شِعَارًا لَنَا فِى كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ حَيَاتِنَا.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكِرَامُ!

الأُمَّةُ الَّتِى يَنْبَغِى أَنْ تَكُونَ فِى وَحْدَةٍ وَتَضَامُنٍ، هِىَ لِلْأَسَفِ مُجَزَّأَةٌ اَلْيَوْمَ. وَتَحْتَرِقُ بِنَارِ الفِتْنَةِ وَالفَسَادِ وَالتَّفْرِقَةِ. فَيَتَعَرَّضُ المُسْلِمُونَ فِى مُخْتَلِفِ أَنْحَاءِ العَالَمِ لِلتَّمْيِيزِ وَالتَّهْمِيشِ وَأَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ التَّضْيِيقِ. إِنَّ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ لَا يَعْتَرِفُونَ بِالحُقُوقِ وَالقَانُونِ، يَجِدُونَ الشَّجَاعَةَ فِى ذَلِكَ مِنَ الفَوْضَى الَّتِى تَعِيشُهَا أُمَّةُ مُحَمَّدٍ. إِنَّ الجُنَاةَ الَّذِينَ يَتَغَذَّوْنَ عَلَى الحِقْدِ وَالكَرَاهِيَةِ يُهَاجِمُونَ المُسْلِمِينَ بِلَا خَجَلٍ أَمَامَ أَعْيُنِ العَالَمِ. إِنَّ القَتَلَةَ الَّذِينَ يَسْتَمِدُّونَ القُوَّةَ مِنْ صَمْتِ الأُمَّةِ، يُمْطِرُونَ القَنَابِلَ بِقَسْوَةٍ عَلَى الأَبْرِيَاءِ فِى فِلِسْطِينَ دُونَ تَمْيِيزٍ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالشُّيُوخِ وَالأَطْفَالِ. وَلَمْ يَكْتَفُوا بِذَلِكَ، بَلْ يَمْنَعُونَ المُسَاعَدَاتِ الإِنْسَانِيَّةِ وَيَحْرِمُونَ المَظْلُومِينَ مِنْ قَصْمَةِ الخُبْزِ وَرَشْفَةِ المَاءِ. وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، فَإِنَّ المُدَافِعِينَ المَزْعُومِينَ عَنْ حُقُوقِ الإِنْسَانِ يَغُضُّونَ الطَّرْفَ عَنِ المَذَابِحِ وَالإِبَادَةِ الجَمَاعِيَّةِ فِى المُدُنِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَلَا يَتَحَدَّثُونَ ضِدَّ دَوْسِ القِيَمِ الإِنْسَانِيَّةِ، وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ يَدْعَمُونَ الظَّالِمِينَ.

لِذَلِكَ،أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعِزَّاءُ!

دَعُونَا نَضَعُ جَانِبًا كُلَّ أَنْوَاعِ الخِلَافَاتِ وَالاخْتِلَافَاتِ وَنَأْخُذُ الأُخُوَّةَ الإِسْلَامِيَّةَ كَأُسَاسٍ. فَلْنُمَثِّلْ دِينَنَا بِأَفْضَلِ طَرِيقَةٍ بِإِيمَانِنَا وَعِبَادَتِنَا وَأَخْلَاقِنَا وَكُلِّ أَقْوَالِنَا وَأَفْعَالِنَا. دَعُونَا نُحَافِظُ عَلَى وَعْيِنَا بِكَوْنِنَا أُمَّةً حَيَّةً دَائِمًا. وَلْنُحَافِظْ عَلَى قُوَّتِنَا الَّتِى نَسْتَمِدُّهَا مِنْ إِيمَانِنَا، وَعِزَّتِنَا الَّتِى نَسْتَمِدُّهَا مِنَ الإِسْلَامِ، وَبَأْسِنَا الَّذِى نَسْتَمِدُّهُ مِنْ أُخُوَّتِنَا. عِنْدَهَا فَقَطْ سَتَتَحَرَّرُ أُمَّتُنَا مِنْ طُغْيَانِ الظَّالِمِينَ وَخِيَانَةِ الخَوَنَةِ. سَوْفَ يَفْرَحُ المَسَاكِينُ، وَسَيَبْتَسِمُ الأَيْتَامُ، وَسَيُفَرَّجُ عَلَى المَكْرُوبِينَ.

أَخْتِمُ خُطْبَتِى بِالحَدِيثِ التَّالِى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِى يُذَكِّرُنَا بِمَسْؤُولِيَتِنَا كَأُمَّةٍ: **"لا تَحَاسَدُوا، ولا تَنَاجَشُوا ولا تَبَاغَضُوا، ولا تَدَابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعْضُكم على بَيْعِ بَعْضٍ، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخوانًا"**[4].

---

[1] سُورَة الْأَنْبِيَاء ، 21 / 92.
[2] سُورَة آلِ عِمْرَانَ ، 3 / 110.
[3] مُسْلِمٌ ، كِتَابُ الْبِرِّ ، 58.
[4] مُسْلِمٌ ، كِتَابُ الْبِرِّ ، 28.